استاذ المقياس: د/ إبراهيم هياق المقياس: منهجية البحث العلمي
المستوى: السنة الثانية علم الاجتماع المحاضرة: 02

مراحل المعاينة في البحث الاجتماعي
2-أنواع المناهج العلمية

تمهيد:

إن البحث العلمي هو تقصي المعلومة العلمية،والبحث في مصادرها والتحقق من مدى صحة ماتم تحقيقه من تقدم علمي،وفقا للمراحل المنهجية الواجب التقيد بها بكل صرامة لتحقيق أهداف العلم، حيث يعتبر البحث العلمي "استقصاء منظم يهدف إلى إضافة معارف علمية،يمكن توصيلها والتحقق من صحتها عن طريق الاختبار العلمي" (حسن، أصول البحث الاجتماعي، 1990)

وعلم الاجتماع كغيره من ضروب المعرفة يتميز بدراسة الظواهر الاجتماعية من خلال تحديد العلاقة بين المتغيرات، وما يشوب ذلك من صعوبات ترجع أساسا لطبيعة مفردات البحث الاجتماعي،فوعي الباحث بإشكالية موضوع بحثه أو دراسته،وإطلاعه على المناهج العلمية وأساليبها المختلفة في العمل،والتقيد الصارم بخطوات المنهج العلمي في البحث ،تشكل سندا منهجيا في إرساء دعائم البحث الناجح.

وهذا ما يتم التركيز عليه في عرضنا لهذه المحاضرة، من تحديد لأهم أنواع مناهج البحث العلمي في علم الاجتماع.

أهم أنواع مناهج البحث في علم الاجتماع:

نظرا لتعدد التصنيفات وتباينها وصعوبة معالجة كل هذه المناهج،سيتم التطرق لأهم مناهج البحث في علم الاجتماع.

1-المنهج الوصفي:

فالمنهج الوصفي يهدف إلى جمع البيانات والحقائق،رغبة في تفسيرها من أجل الوصول إلى مرحلة التعميم تحقيقا لأهداف العلم، حيث يختار الباحث من الواقع الماثل بين يديه ما يناسب دراسته أو بحثه " وعملية الانتقاء أو الاختيار هذه هي المحور التي يدور حولها المنهج الوصفي." (عناية، 2007).

كما تمكن البحوث الوصفية من الوصول إلى الحقائق العلمية، عن الظروف الراهنة، وتستنبط العلاقات الهامة القائمة بين الظواهر المختلفة وتساعد على تفسير معنى البيانات،" إن كان جمع البيانات وتوفير المعلومات من المسائل الهامة التي تقتضيها الدراسة العلمية للظواهر الاجتماعية ،إلا أن البحث الوصفي يذهب إلى مدى أبعد من ذلك، بغية تحديد الدرجة التي توجد بها العوامل العاملة في مواقف معينة وفي ظروف معينة، وذلك لتقدير أهميتها النسبية هذا بالإضافة لإسهامه المباشر في تحديد ما يوجد بين هذه العوامل من ارتباطات" (شتا، المنهج العلمي في العلوم الاجتماعية، 1997).

ويصف البدوي المسوح الوصفية بأنها لا تقف عند حد الوصف أو تقرير ما هو واقع با تتعداه إلى" البحث في "أسباب وجود الظاهرة موضوع الدراسة على هذا النحو وعوامل تطورها،بل يتعدى عملية الوصف في كثير من الأحيان إلى التنبؤ بما سوف تكون عليه الظاهرة في المستقبل" (البدوي، 2002).

وتركز البحوث الوصفية على خمسة أسس هي : (رشوان، 2003)

- إمكانية الاستعانة بأدوات جمع الحقائق المختلفة مثل الملاحظة والمقابلة الشخصية والبيانات المسجلة ،واستمارة البحث ،وعرض البيانات في صورة جداول أو رسومات أو خرائط.
- يمكن أن تكون كمية أو كيفية،وتتحقق الكمية من خلال المسح الاجتماعي وتحليل البيانات الجاهزة وتحليل المضمون،والكيفية من خلال دراسة الحالة وتحليل الوثائق.
- تعتمد الدراسات الوصفية على اختيار عينة تمثل المجتمع المدروس.
- ينبغي على الباحث أن يقوم بعملية التجريد لتمييز خصائص أو سمات الظاهرة المدروسة.
- تهدف البحوث الوصفية إلى الوصول إلى التعميم،لاستخلاص أحكام تصدق على مختلف الفئات المكونة للظاهرة موضوع الدراسة.

وسنتطرق في دراستنا لدراسة الحالة وتحليل المضمون ضمن ميدان البحوث الوصفية،نظرا للعلاقة بينهما،فوجود اختلاف بين فقهاء المنهجية في اعتبارهما منهجا قائما بذاته أم أسلوبا للبحث،لا ينقص من أهميتهما ودورهما في ميدان البحث العلمي.

1-1- دراسة الحالة:

تعتبر دراسة الحالة من أقدم الطرق التي استخدمت في البحوث الاجتماعية لوصف وتفسير الخبرات الشخصية والسلوك الاجتماعي،"فهي أسلوب في البحث يهدف إلى فهم الظواهر الاجتماعية داخل موقع أو عدد صغير من مواقع الأحداث التي تجري على نحو طبيعي" (جلبي، 2012).يتجه منهج دراسة الحالة إلى "جمع البيانات العلمية المتعلقة بأية وحدة،سواء أكانت فردا أو مؤسسة أونظاما اجتماعيا أومجتمعا محليا،وهو يقوم على أساس التعمق في دراسة معينة في تاريخ الوحدة أو دراسة جميع المراحل التي مرت بها وذلك بقد الوصول إلى تعميمات علمية متعلقة

بالوحدة المدروسة وبغيرها من الوحدات المشابهة لها." (بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، 1986).

كما تعتبر دراسة الحالة ضمن الدراسات الوصفية التي تهتم بحالة فرد أو جماعة أو مؤسسة يصعب على الباحث استخدام المناهج الأخرى،من أجل جمع معلومات عن أفراد مجتمع الدراسة بأسلوب معمق. (عمر، 2004).

2-1- تحليل المضمون:

نورد في هذا المقام جملة من التعريفات لمفهوم تحليل المحتوى: (أوزي، 2015)

- تعريف كابلان(**KABLAN**): إن تحليل المضمون هو العد الإحصائي للمعاني التي تتضمنها المادة الأساسية.

- تعريف جانيس(**JANIS**): إنه الأسلوب الذي يهدف إلى تبويب خصائص المضمون في فئات،وفقا لقواعد يحددها المحلل باعتباره باحثا علميا.

- تعريف باركوس(**BARCUS**): إن لفظ تحليل المضمون يستخدم للتعبير عن التحليل العلمي للرسائل الاتصالية،وهذا الأسلوب العلمي يتطلب أن يكون التحليل فيه دقيقا ومنهجيا.

- تعريف هولستي(**HOLSTI**): إن تحليل المضمون بحث يسعى إلى اكتشاف علاقات ارتباطية بين الخصائص المعبرة،في أي مادة اتصالية عن طريق التعرف على هذه الخصائص بطريقة موضوعية ومنهجية.

- تعريف لازويل(**H.D.Lasswell**):تحليل المضمون هو أسلوب يهدف إلى الوصف الدقيق والمحايد،لما يقال عن موضوع معين في وقت معين.

- تعريف برلســـون(**BERELSON**): تحليـل المضـــمون يمكن أن يجمع بين الكم والكيف معا،والنسقي والكمي للمضمون الظاهر لعملية الاتصال. (امطير، 2002).

وقد أشار "برلسون" إلى عدة افتراضات يسعى إليها تحليل المحتوى أهمها: (فرح، 2002).

أ- بيان الارتباط المفترض بين هذه الرسالة والمضمون.

ب- بيـان الارتبـاط المفترض بين المضـــمون وتأثيره،ومدى قوة هذا التأثير على الجمهور المتلقي.

ت- معرفة أغراض الجمهور المتلقي بعد تحليل المضمون الظاهر.

أورد "رشـدي طعيمة"وهو ممن يعدون تحليل المحتوى منهجا علميا خاصـا تعريف لدائرة المعارف البريطانية لمفهوم تحليل المحتوى" أحد المناهج المسـتخدمة في دراسـة مضـمون وسـائل الاتصـال المكتوبة أو المســموعة،بوضــع خطة منظمة تبدأ باختيار عينة من المادة محل التحليل،وتصــنيفها وتحليلها كميا وكيفيا." (طعيمة، 1987).

1-2-1-خصائص عناصر تحليل المضمون:

- الموضوعية.
- تحليل مادة الإتصال بشكل منظم.
- الوصف الكمي للظاهرة.
- التحليل الظاهري لمضمون الإتصال.

1-2-2- وحدات تحليل المضمون: وتنقسم إلى قسمين:

1-2-2-1-**وحدات التسجيل:** وهي أصغر جزء في المحتوى يختاره الباحث ويخضعه للعد والقياس.

1-2-2-2- **وحدات السـياق:** وحدات لغوية داخل المحتوى وهي أكبر كيان في مضـمون النص (جملة،عبارة،فقرة،موضوع) وحدات كبرى.

وتعتبر الوحدات الصغرى(وحدات التسجيل) الأكثر شيوعا واستعمالا وتتضمن الوحدات الآتية: (جلبي، 2012)

- وحدة الكلمة: المفاهيم ،القيم.
- وحدة الموضوع:الفكرة الأساسية التي يدور حولها الموضوع.(الصبر).
- وحدة الشخصية: الشخصية، السمات...الخ.
- وحدة المفردة: مقال، قصة، برنامج...الخ.
- وحدة قياس المساحة والزمن: (سطور،أعمدة،صفحات)،(المدة الزمنية للشريط او الفيلم).

1-2-3- فئات تحليل المضمون:

ويرى "برلسون"أن قيمة تحليل المضمون في فئاته." (أوزي، 2015).

ويعتبر"برلسون" أول من قدم تصنيفا للفئات،اتخذ أساسا للتصنيف في الدراسات والبحوث الغربية والعربية،فقد صـــنفها إلى نوعين رئيســـين،يندرج تحت كل منهما فئات فرعية تفصـــيلية عديدة: (العظيم، 2012)

- يدور النوع الأول من الفئات الرئيســـة حول مضـــمون مادة الاتصـــال أو المعاني التي تنقلها،ويسميها بيرلسون(فئات محتوى الاتصال)،ماذا قيل؟؟؟

ومن أهم فئات مادة الاتصـال(فئة الموضـوع-فئة الاتجاه-فئة المعايير-فئة القيم-فئة الأهداف-فئة السمات-فئة الفاعل-فئة المصدر أو المرجع أو السلطة-فئة منشأ الحدث-فئة المستهدف.)

- ويدور النوع الثاني من الفئات الرئيسـية حول الشكل الذي قدم فيه هذا المضمون،وانتقلت من خلاله معاني الاتصال،ويسميه (فئات شكل الاتصال)،كيف قيل؟؟

1-2-4-خطوات تحليل المضمون:

- تحديد الهدف من الدراسة (يرتبط بمشكلة البحث).
- اختيار وحدة التحليل.
- تحديد طبيعة فئات التحليل.
- تحديد طبيعة المجتمع(العينة).
- كيفية المعالجة(البيانات الاحصائية مثلا).

2-المنهج التجريبي:

يرتبط المنهج التجريبي بالعلوم الطبيعية بشكل خاص،حيث يسعى إلى البحث في العلاقة التي تربط السبب بالنتيجة بين الظواهر أو المتغيرات،وذلك من خلال جملة من العمليات المنظمة،التي تهدف إلى اثبات أو نفي فرض من مجموعة الفروض،يعرفه العيسوي" طريقة لجمع وتنظيم المعلومات تنظيما يسمح بإثبات أو نفي فرض من الفروض،على ان تكون الطريقة التي يسير فيها،هي الخطوات المنطقية المحددة في الطريقة العلمية" (العيسوي، 1997).

إن المنهج التجريبي في بحثه عن العلاقة السببية بين المتغيرات،التي يحددها في صنفين من المتغيرات،والتي تعني ميزة خاصة بالأشخاص أو الأشياء أو الأوضاع. (أنجرس، 2004).

والمتغيرات هي مجموعة من العوامل التي تتفاعل فيما بينها،وينشأ عنها نوع من العلاقات،يسعى الباحث الى اثباتها أو التحقق منها أو اختبار ما يوجد بينها من علاقات،سببة كانت ام ارتباطية.

فالمتغير المستقل (Indépendant Variable)،ويدرس آثاره على متغير آخر،ويغير الباحث فيه ويدرس الآثار المترتبة على ذلك في متغير آخر،فهو المتغير الذي يراد معرفة تأثيره. (السيد، 1990).

فالمتغير التابع(Concomitant Variable)،هو المتغير المتأثر الذي يتغير بتغير المستقل،حيث يتم احداث تغير في المتغير المستقل من قبل الباحث،وملاحظة ما يحدثه ذلك من تغير على

المتغير التابع،وتساعد التجارب في استبعاد الكثير من المؤثرات الجانبية،كما يمكن استعمال جماعة اخرى تكون شاهدة (G.T)على التجربة وتدعى أيضا الجماعة الضاغطة (G.C)،بحيث يتم عزلها عن المتغير المستقل.

2-1-خطوات المنهج التجريبي:

تتحدد خطوات المنهج التجريبي في المراحل الآتية:

1- تحديد مشكلة البحث.

2- مراجعة البحوث والدراسات السابقة.

3- تحديد الأهمية والأهداف والمصطلحات وصياغة الفروض.

4- تحديد متغيرات الدراسة.

5- اجراء تجربة البحث:

أ- تحديد الأجهزة وأدوات القياس المستخدمة.

ب- اختيار عينة البحث.

ت- تطبيق الاختبارات القبلية.

ث- اجراء التجربة.

ج-تطبيق الاختبارات البعدية.

ح-معالجة البيانات احصائيا.

خ-تحليل البيانات وتفسيرها.

د- عرض النتائج وكتابة تقرير البحث.

وعموما فالمنهج التجريبي يعده الكثير من الباحثين وعلى رأسهم عبد الباسط حسن من المناهج المعتمدة في علم الاجتماع،التي تحقق معالم الطريقة العلمية بصورة واضحة وجلية،من خلال احترام الخطوات العلمية بشكل عقلاني في العمل البحثي،حيث تبدأ الملاحظة للوقائع الخارجة عن العقل وتتلوها الفرضية ،تتبع بالتحقق من هذه الفرضية بواسطة العمل التجريبي،المؤدي إلى معرفة

القوانين التي تحكم الظواهر والتي تكشـــف عن العلاقات القائمة بينها. (حســـن، أصـــول البحث الاجتماعي، 1990).

3-المنهج المقارن:

يحتـل المنهج المقارن مكانة في علم الاجتماع تتزايد بمرور الزمن وتعقد الحياة الاجتماعية،يشـــعر معهـا العلماء بحاجتهم لهذا النوع من المناهج،فالمقارنة بين أوجه التشـــابه والاختلاف بين الظواهر الاجتماعية، واكتشـــاف العوامل والظروف التي ترافق الظواهر الاجتماعية ســـواء كانت في حقب زمنية غابرة أو كانت معاصرة،ويرى فيه دور كايم في المقارنة تجريبا غير مباشر. (غراويتز، 1993). فالمنهج المقارن يمكن الباحث الاجتماعي من "اكتشـــاف الخصـــائص الكلية للظاهرة في ماضـــيها وحاضـرها ومسـتقبلها،وذلك عن طريق المضـاهاة وإبراز الصفات المتشابهة والمختلفة بين ظاهرتين أو مجتمعين،ومعرفة درجة تطور أو تقهقر الظاهرة عبر الزمن" (ابراش، 2008).

يحدد معن خليل حالات استخدام المنهج المقارن في الحالات الآتية: (عمر، 2004).

1-مقارنة متغير واحد في مجتمعات متشابهة، مثلاً كدراسة الوضع التربوي لابناء العمال في المدارس الابتدائية عند مجتمعين صناعيين.

2-مقارنة عدة متغيرات في مجتمعات متشابهة، كدراسة التطور السياسي لعشرة أقطار نامية.

3-علاقة عدة متغيرات في مجتمع واحد، مثل دراسة علاقة معدل الانجاب بالطبقة الاجتماعية والمنطقة الجغرافية (حضرية وريفية).

4-علاقة عدة متغيرات في مجتمعات متباينة، مثل دراسة علاقة التنمية الاجتماعية وعلاقتها بالدخل القومي في مجتمع صناعي ومقارنة تلك العلاقة بمجتمع زراعي.

ومن مميزات المنهج المقارن والتي تساعد الباحث في الوصول نتائج مرضية لبحثه،هي تعزيز قدرته على تفسير الظاهرة المدروسة من خلال المقارنات التي يجريها بين المجتمعات المتباينة،مما يقلل

من تأثير عوامل الصدفة والتحيزات الثقافية،كما اعتماد المنهج المقارن يساعد الباحث على زيادة مدى المتغيرات المدروسة التي يشملها تصميم البحث. (خمش، 1999).

4-المنهج التاريخي:

الظواهر الاجتماعية كالوقائع التاريخية مرتبطة بسياق زمني معين،والمنهج التريخي يسعى لربط الماضي بالحاضر لاستشراف المستقبل،مادته الأساسية الوثائق والسجلات،برى فيه موريس أنجرس"إعادة بناء الماضي بدراسة الأحداث الماضية،معتمدا في الأساس على الوثلئق والأرشيف" (أنجرس، 2004).

فالمنهج التاريخي مجموعة من الخطوات التي يتقيد بها الباحث،في جمع المعلومات وعرضها ونقدها وتحليلها وتفسيرها،وصولا إلى استخلاص النتائج وتعميمها إن امكن ذلك.

للمنهج التاريخي في علم الاجتماع أهمية كبيرة من خلال المساعدة على تفسير الظواهر الاجتماعية من خلال الرجوع الى الاحداث في سياقها التاريخي،ومحاولة تحليلها وتفسيرها وفقا لما توفر من وثائق وشهادات قد تساعد في كشف الحقائق.

غير ان المنهج التاريخي يسجل عليه جملة من السلبيات نوردها في مايلي: (عمر، 2004).

1-يتضمن فرضيات تخمينية غير يقينية، أي غير قابلة للتحقيق منها بشكل عام.

2-إن البدايات الاولى للتاريخ الانساني غير معروفة.

3-لا يستطيع هذا المنهج أن يفسر لنا كيفية ربط الماضي المجهول عندنا بالحاضر المعروف، فهو بهذه الحالة لا يعطينا شيئاً ولا يفسر شيئاً انما هو منهج تأويلي.

4-إن آراء المؤرخين تختلف حول الموضوع التاريخي الواحد وان بعضهم ينقد بعضاً، وهذا دليل على ضرورة الاعتراف بوجود العنصر الذاتي في التفكير التاريخي.

5-ان الدراسات التاريخية موضع تعديل مستمر، إذ يتوقع ان تظهر في المستقبل وجهات نظر جديدة تفسر الوقائع الماضية على نحو جديد بسبب الكشف عن وقائع جديدة وبسبب اختلاف عقلية العصر الذي يعيش فيه المؤرخ.

4-1-خطوات المنهج التاريخي

تتمثل الخطوات الأساسية للمنهج التاريخي في :

1- **تحديد مشكلة البحث:** من حيث الموضوع والزمان والمكان، والأهداف والفروض وفقا لخطوات منهجية تنطبق على جميع أنواع البحوث.
2- مراجعة للبحوث والدراسات السابقة ذات العلاقة بموضوع البحث.
3- **جمع البيانات والمعلومات:** ويتم ذلك من خلال تصميم البحث وتحدي خطواته الاجرائية من خلال :

أ- **المصادر الأولية:** والمتثلة في السجلات والوثائق المكتوبة والشفوية الرسمية وغير الرسمية، وكذا المخلفات والأشياء الأثرية.

ب- **المصادر الثانوية:** هي كل المصادر التي تحتوي معلومات وبيانات مدونة، تم نقلها أو روايتها عن مصادرها الأصلية.الصحف، المجلات، السير الذاتية ،القصص والأغاني...الخ.

4- **نقد اللبيانات والحقائق:** وتتم عملية النقد من خلال نوعين من النقد للبيانات التي تم جمعها.

أ- **النقد الخارجي:** ويتعلق بموثوقية البيانات من حيث الصدق والأصالة،مثال: التحقق من عمر الوثيقة. متى ظهرت الوثيقة؟ لماذا ظهرت؟ من كتبها؟ولمن كتبت؟هل هي أصلية؟ ...الخ.

ب- **النقد الداخلي:** ويهتم بمحتوى الوثيقة من حيث أسلوب الكتابة،الخط، دقة البيانات والمعلومات.البحث عن التناقض في المعلومات الواردة،هل هناك وثائق مشابهة لها تدعمها؟ مدى قدرة المؤلف على الكتابة؟

5-**تحليل البيانات وتفسيرها وكتابة تقرير البحث:** وهي آخر مرحلة يستعرض فيها الباحث البيانات والحقائق والمعلومات التي جمعها بعد تبويبها وتصنيفها وعرضها على النقد الداخلي والخارجي ومن ثم استخلاص النتائج النهائية،بعد ذلك يشرع الباحث في صياغة تقرير بحثه وفق منهجية اعداد تقرير بحث علمي.

خاتمة:

يعتبر المنهج ركنا أساسيا ضمن القواعد والاجراءات المنهجية التي يتعين على الباحث التقيد بها،خلال مراحل البحث وخطواته،فالمنهج العلمي هو الموجه لعمل الباحث،فهو كحامل المصباح في الظلام لا تقتصر فائدته على إنارة الطريق للباحث فقط، بل تتعداه لمن يتابع البحث وخطواته،انطلاقا من الاشكالية والفروض وعلاقة ذلك بالمنهج المتبع،فيمكن للباحث اعتماد أكثر من منهج للوصول للحقائق العلمية التي يسعى لتحقيقها.